مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2023/03/03م
تاريخ القبول: 2023/04/19م

البكاء والدموع في شعر سليمان بن سليمان النبهاني

د. مروعي بن إبراهيم بن موسى المحائلي *

dr.marwaie@outlook.sa

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة البكاء والدموع في شعر سليمان بن سليمان النبهاني، التي لازمته طيلة حياته، وقد اعتمد على المنهج الأسلوبي لدراسة هذه الظاهرة وإظهار جمالياتها وأبعادها الفنية والدلالية. وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث، تطرق المبحث الأول إلى البكاء والدموع على الأطلال، ودرس المبحث الثاني دموع الفراق، في حين تناول المبحث الثالث دموع الشوق، واشتغل المبحث الرابع على دموع الندم، وناقش المبحث الخامس دموع الرثاء، وقد استطاع البحث الكشف عن أشكالٍ من البكاء والدموع التي وظفها النبهاني في شعره، ويعود هذا التوظيف إلى عدة عوامل جاءت منسجمة مع الذات كما عبرت عنها النصوص، التي كانت صدًى لها، إذ جاءت زفرات الحزن ناطقة عنها.

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، الشعر العماني، ظاهرة الدموع، دموع الشوق، دموع الندم.

* أستاذ الأدب المساعد - قسم اللغة العربية - كلية العلوم والآداب - فرع جامعة الملك خالد بمحايل عسير - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: المحائلي، مروعي بن إبراهيم بن موسى، البكاء والدموع في شعر سليمان بن سليمان النبهاني، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، مج5، ع3، 2023: 282-303.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
https://doi.org/10.53286/arts.v5i3.1565

OPEN ACCESS
Received: 03-03-2023
Accepted: 19-04-2023

مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Theme of Tearfulness Phenomenon in the Poetry of Sulaiman bin Sulaiman Al-Nabhan

Dr. Marwai Bin Ibrahim Bin Musa Al-Muhaili*
dr.marwaie@outlook.sa

Abstract:

This study aims to investigate the phenomenon of weeping and tears in the poetry of Sulaiman bin Sulaiman Al-Nabhan. A stylistic approach was adopted to study this phenomenon and highlight its aesthetic and artistic dimensions. The study is organized into an introduction and five sections. The first section dealt with tears over ruins, while the second section focused on tears of separation. The third section examined tears of longing, and the fourth section looked at tears of regret. The fifth section discussed tears of mourning. The study revealed that tears were manifested and utilized in Al-Nabahani poetry in various forms, and that such utilization was attributed to several personal factors, echoing the poet's persona and articulating his sad emotions in vividly expressed verse.

Keywords: Arabic literature, Omani poetry, Tears phenomenon, Tears of longing, Tears of regret.

*Assistant Professor of Literature, Department of Arabic Language, Faculty of Science and Literature, King Khalid University, Mahayel Asir Branch, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Muhaili, Marwai Bin Ibrahim Bin Musa, Theme of Tearfulness Phenomenon in the Poetry of Sulaiman bin Sulaiman Al-Nabhan, Journal of Arts for linguistics & literary Studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, V 5, I 3, 2023: 282 -303.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

المقدمة:

يتناول هذا البحث البكاء والدموع في ديوان سليمان بن سليمان النبهاني، وهو أحد أشهر شعراء عُمان في فترة حكم النباهنة، وهو شاعرٌ مشهور[1]. وُلِدَ "في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (الرابع عشر للميلاد) وتوفي سنة (915هـ) (1510م)"[2]. وكنيته "أبو علي"[3]. ينتمي شاعرنا إلى قبيلة آل نبهان أو النبهانيين أو النباهنة، وهي قبيلة تعود في أصولها إلى قبيلة أكبر، وهي قبيلة الأزد[4]. وهو "آخر سلاطين بني نبهان العمانيين"[5]. ومن المعروف أنه "كان حاكمًا قويًا"[6].

وقد أشاد به أحمد درويش فقال: إنه "كان شاعرًا فحلًا"[7]. وهو "شاعر النباهنة الكبير وأحد ملوكهم"[8]. ويضيف أحمد درويش: إن قصائد النبهاني "تُزاحم المعلقات السبع فصاحة وبلاغة"[9]. ويعده محقق ديوانه " في مقدمة الشعراء العمانيين، ومن أفخر شعراء العرب"[10]. ويقول عزالدين التنوخي: إن شعر النبهاني "يمتاز بجزالته، وجلجلة ألفاظه، وتراكيبه وقوة فخره، ورقة تغزله"[11]. ويضيف: إنه "ليس في شعراء عصرنا مَن يحاكيه في أسلوبه الشعري الذي يذكرنا بالعصر الجاهلي"[12]. ويقول نورالدين السالمي: إن سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني "هو صاحب الديوان الغزلي الحماسي. أنبأ فيه عن فصاحته وأبان فيه عن بلاغته"[13]. و"يمتاز شعر النبهاني، بفخامة المعاني، وجزالة الألفاظ وروعة الخيال، وحسن الأسلوب، وتأدية المعنى الصحيح"[14].

إن البكاء والدموع هما نتاج شعور داخلي ينتاب الإنسان سواء كان الباعث لهذا الشعور حزنًا أم فرحًا، فالإنسان يحاول التنفيس عما في خلجات نفسه . أحيانًا . بواسطة الدموع أو البكاء، وهما من الوسائل المهمة التي اعتمد عليها سليمان النبهاني في تعبيره عما يجيش في نفسه، حتى أنهما . أي: البكاء والدموع . يمثلان ظاهرة بارزة في شعر النبهاني.

و"توظيف البكاء بهذه الصورة ... يؤكد أنه لم يأتِ عفو الخاطر أو لاشعوريًا فقط، إنما كان واعيًا لذلك في كثير من المواقف؛ فهو يبكي في مواطن مختلفة "[15]. وهو في ذلك يقوم بذات الدور الذي يقوم به الشاعر الذي يملك عاطفة جياشة وقلبا رقيقا[16].

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن أسلوب النبهاني في استعمال هذه الظاهرة، ويمكن تحديد أهمية هذا البحث في أنه أول دراسة تتناول ظاهرة البكاء والدموع في شعر النبهاني. وقد اعتمد البحث على المنهج الأسلوبي.

والجدير بالذكر أنه قد واجهتني صعوبات في هذا البحث تتمثل في قِلة الدراسات التي تفردت بدراسة الشاعر سليمان بن سليمان النهاني وشعره. فلا يوجد سوى ثلاث دراسات تناولت الشاعر سليمان بن سليمان النهاني وشعره بالدراسة، هي:

تحقيق عزالدين التنوخي لديوان الشاعر بعنوان "**ديوان النهاني**"، نشرته وزارة التراث والثقافة بسلطنة عُمان، ط3، 2017م.

ودراسة لعلي جواد الطاهر بعنوان "**سليمان بن سليمان النهاني: شاعر من عصر النباهنة في عمان**" وهو كتاب مطبوع في دار الحوار للنشر والتوزيع بسوريا، عام 1995م. ويتكون هذا الكتاب من مقدمة وخمسة مباحث هي: مبحث حياة الشاعر في التاريخ، ومبحث حياة الشاعر في ديوانه، ومبحث المفاخر، ومبحث راوية وموذية، ومبحث الفن الشعري.

وبحث لمروعي بن إبراهيم المحائلي بعنوان "**الحيوان في شعر سليمان بن سليمان النهاني**" منشور في مجلة جامعة الوصل بدولة الإمارات العربية المتحدة. يونيو 2023م، العدد66، وقد تتبع الحيوانات الموجودة في شعر الشاعر. وقد قسم الباحث هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وهي: مبحث الحيوانات المفترسة، ومبحث الحيوانات الأليفة، ومبحث الطيور والحشرات، وخاتمة.

وقد تم تقسيم بحث البكاء والدموع في شعر سليمان بن سليمان النهاني إلى خمسة مباحث، وهي: المبحث الأول: البكاء والدموع على الأطلال، المبحث الثاني: دموع الفراق، المبحث الثالث: دموع الشوق، المبحث الرابع: دموع الندم، المبحث الخامس: دموع الرثاء، وستتم دراستها على النحو الآتي:

المبحث الأول: البكاء والدموع على الأطلال

من الشعراء والعشاق من يسكب الدموع الغزيرة على الأطلال الدارسة[17]، ومنهم النهاني، فهو يرسم صورة لدموعه التي يقوم بإراقتها مستمدًا هذه الصورة من عالم الطبيعة (السحاب/ المطر)، وهي صورة تحمل دلالة الكثرة، فالشاعر يقف على أطلال ربع حبيبته (راية). ويستعمل الشاعر أسلوب الكناية (أريق سما جفني) للدلالة على البكاء في قوله:

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِرَايَةَ نَاقتي ... أُرِيقُ سَما جفني بِهِ وَأُسَائِلُهْ

وَكيفَ يَردُ الرَّجعَ رَبعٌ مخلَّدٌ ... بحيثُ الغَضَا أَقوَت سِنِينًا مَنَازلُهْ

عَفَا غَيرَ سُفْعٍ كالحَمَائِمِ جُثَّمٍ ... وَأورَق بَادٍ في الخصاصاتِ جَائِلُهْ[18]

ويقف النبهاني ويستوقف أقرانه بلوى الأرائك[19] ليقوموا بإلقاء التحية والسلام على دار محبوبته (راية). ولا يكتفي بالوقوف على الأطلال وإلقاء التحية على تلك الأطلال بل يحث من معه بسكب الدموع في هذا الموضع وأن هذه الدموع مهما بلغت فلن تشفي ما أصابه من الغرام. ثم يبرر ذلك بأسلوب الاستفهام في البيت الثالث. وهذا الاستفهام بمثابة تبرير كثرة دموع الشاعر على أطلال محبوبته، وذلك في قوله:

قِفَا بِلِوى الأَرَائك من سحام ... نحيي دار راية بالسلامِ

وعُوجا نسفح العبرات فيها ... وإن لم نشف تبريح الغرام

وهل يبكي المعالمَ غيرُ صبٍ ... هَيُومٍ بالتذكر مستهام[20]

ويصور النبهاني مشهدًا جميلًا يحمل كثيرًا من الذكريات في ذهنه، وهذا التصوير يمر بثلاث لوحات، وهي: اللوحة الأولى: تصوير الطلل الذي هجره أهله وما فيه من أثافي ورماد وأوتاد الخيام. واللوحة الثانية: بدأها الشاعر بعبارة "أنكرته" وهي عبارة تدل على حالة الشاعر النفسية المُنكرة للواقع الذي صارت إليه منازل محبوبته، ولكن الشاعر لا يستمر في حيرته طويلًا ليهتدي إلى المكان عن طريق حاسة الشم بعد أن تبدلت حالة المكان بعد فراق أهله له. وهذه الصورة الشمية للتراب تشابه "فتيت العنبر" الذي يملأ المكان. واللوحة الثالثة: وهي قائمة على الفعل ورد الفعل بأسلوب تشخيصي فالطلل ينادي الشاعر ورد فعل الشاعر أو جوابه لهذا النداء (الدموع) والشاعر يرسم صورة تشبيهية لغزارة هذه الدموع بأنها "كمنصلت الخليج المخلج"، وذلك في قوله:

سلم على طلل الحبيبِ ولا تكُنْ ... حلف الصبابةِ كالخلي المثلجِ

أقوى وأقفر غير سفعِ جُثمٍ ... هجن الهمومَ وأورقٍ ومشججِ

أنكرتُه لولا شذى بترابه ... يحكي فتيت العنبر المتأرج

ولقد دعا فأجابه لما دعا ... دمعٌ كمنصلت الخليج المُخلج[21]

وبيَّن الشاعر حال أطلال حبيبته (موذية)، فهي أطلال قد هجرها أهلها منذ سنين طويلة فهي بالية، حتى أنها قد أجدبت أرضها وجال بها السراب. وأنه يخشى على معالم هذه الأطلال من الاحتراق وهذه الخشية تدفع الشاعر إلى توكيد أنه سيسقي هذه الأطلال المجدبة لـ(بخل الغمام) وهي كناية عن انقطاع المطر أو القحط، وهذه السُقيا ستكون عن طريق دموع الشاعر فدموعه لكثرتها أصبح

لها ذات الأثر الناتج عن المطر من رغد العيش وعودة الحياة لهذه الأطلال وربما عودة الحبيبة. فالدمع هنا رمز لعودة الحياة.

ثم يسأل الشاعر وينادي شخصًا مقدرًا "يا هذا هل رأيت برقًا لمع باتجاه جبال رامة والبراق". والشاعر لا ينتظر جوابًا بل يذكر أثر هذا البرق اللامع في ظُلمة الليل في نفسه فقد حرك مشاعره مما دفعه إلى تكرار كلمة "أرقت" في بداية بيتين متتاليين بعد هذا السؤال، فالشاعر يؤكد أن هذا البرق أصابه بالأرق أو السهر بينما أصحابه ينعمون بالنوم. فأخذ يراقب ويتأمل لمعانه، وذلك لأن الشاعر يجد بين لمعان البرق وابتسامة محبوبته (موذية) في وقت الوصل تشابهًا، وذلك في قوله:

عفت أطلالُ موذيةٍ سنينًا ... وطاف بها السراب معًا وحاقا
وحالفها البلى والمحل حتى ... خشيتُ على معالمها احتراقا
فإن بخل الغمامُ ولم يجدها ... سقيتُ رسومها الدمعَ المُراقا
ويا هل شمتَ برقًا مرّ وهنًا ... يؤم جبال رامةَ والبُراقا
أرقت له وهوَّم عنه صحبي ... فهيّج موهنًا وجدي وشاقا
أرقت أشيمه وأميل شوقًا ... إليه وبات يأتلقُ ائتلاقا
ذكرت به لموذيةَ ابتسامًا ... إذا ما الوصل حق لنا عناقا[22]

ويرسم النهاني صورة لأطلال محبوبته (موذية) مستمدة من عالم الأقمشة، فهذه الدار بالية كالثياب اليمانية البالية غير الممزقة، وهذه الأطلال قد بليت إلا ما بقي من المكان الذي تُربط فيه الخيول، فآثار السواد والرماد في كل مكان.

ثم يرسم صورة ثالثة لهذا الطلل عندما يُشبه البقايا الظاهرة من هذا الطلل بكتابات ونقوش الكاتب المتألق، ثم يستعمل أسلوب التجريد في قوله: (تصابيت) فهو يخاطب نفسه ويلومها لأنها تتصرف كما يتصرف الصبيان من عدم القدرة على ضبط دموعه عندما شاهد آثار دار حبيبته. ثم ينتقل إلى أسلوب الحوار القائم على السؤال والجواب، فهو يسأل نفسه (أتبكي) ثم يجيب مباشرة عن السؤال (وما أبكاك غير معاهدٍ) فهو يؤكد أن سبب البكاء هو الوقوف على أطلال ديار محبوبته (موذية).

ثم يصور لنا حال هذه الأطلال بعد أن غيرتها يد الزمان بعد فراقهما بأن أبلتها ودمرتها. ومن الملاحظ أن الشاعر استعمل ألفاظ البكاء متصلة بكاف المخاطب (دمعك المترقرق، وما أبكاك) وفي المرة الثالثة يستعمل أسلوب الاستفهام للسؤال عن البكاء في قوله: (أتبكي) وهذه المرة اتصلت كلمة (تبك) بياء المخاطبة. والشاعر باستعمال هذه الضمائر يرفع عن نفسه حرج سفح الدموع ليجعلها في المخاطب بعد أن جرده من نفسه، وذلك في قوله:

أَمِـــنْ رَسْـــمِ دَارٍ كاليمـــاني المخلَّـــقِ ... تَهَلَهَـــــلَ إلَّا أَنَّـــــهُ لـــــمْ يُشـــــبرَقِ
عَفَـــى غيـــرَ آري وأَشـــعَثَ مُفـــرَدٍ ... وَسُـــــفعٍ يَحَـــــامِيمٍ وَأَطحَـــــل أورقِ
كـــأن مُحَيَّـــا رَبعـــه رَقَشَـــت بـــه ... سُـــــطُورُ يَمِـــــينِ الكَاتِـــــبِ المتـــــألقِ
تَصـــابَيْتُ حتَّـــى بـــل ممـــا وَجدتُـــهُ ... نَجَـــادَكَ جَـــارِي دَمعُـــكَ المُتَرقـــرِقِ
أَتَبكِـــي وَمَـــا أَبكَـــاكَ غَيـــرُ مَعَاهِـــدٍ ... كـــأن بَقَايَـــا رَسْـــمُهَا سَـــحقُ يَلمُـــقِ
لُموذيـــةٍ أَقـــوَتْ سِـــنِينًا وغَيَّـــرتْ ... مَعَاهِـــدَهَا أيـــدي البِلـــى والتفـــرُّقِ[23]

ويقوم النبهاني برسم صورة تجسد حالة الحزن عندما وقف بأطلال محبوبته (راية) معتمدًا على أسلوب الحوار بينه وبين خِله أو صاحبه. ويستهل الشاعر صورة الحزن بالوقوف على أطلال حبيبته ويذكر سبب الوقوف "أبكي أسى وصبابة"، وهذا الوقوف يشبه وقوف قوم كثر قد شغف الحب قلوبهم، أي أنه أمرضها وأحرقها من الهيام.

وهذا الإسراف في البكاء وإهراق الدموع في هذا المكان دفع خل الشاعر إلى تعنيفه "فعنفني إذ ذاك خِلي وصاحبي" وهذا التعنيف جعله يتذكر تقوى الرحمن، وكان الشاعر موفقًا باستعمال اسم الجلالة (الرحمن) لما فيه من رحمة، فخليله يذكره برحمة الله ثم ينصحه بأن يستشعر التقى ثم ينصحه ثالثة: "وصبرًا"، وهذا النُصح المتكرر كان مبعثه شدة الكآبة والأسى التي يكابدها الشاعر، ثم يقوم خله بتحقير هذا الطلل، ثم يذكر الشاعر البكاء بأن هذا التصرف ليس من صفاته فهو "ربيط الجأش ماضي العزائم"، فيأتي الرد على خله أو صاحبه بأسلوب حازم فمرة يسميه (لائما) ومرة أخرى يسميه (عاذلا)، مكررًا هذه الكلمة مرتين.

فالشاعر يصور حالته عندما رد على صاحبه "ونار الشوق تأتج في الحشا" ولا يكتفي بذكر المشاعر التي يحس بها بل يذكر ما يمكن أن يراه صاحبه من عينين تسكبان الدموع معتمدًا على

أسلوب التشبيه، فالشاعر يشبه عينيه بالسحب، ونجد هنا ملمحًا جميلًا وهو استعمل الشاعر لكلمة (السحب)، وهي جمع لسحابة وهي كلمة تحمل دلالة الكثرة، وهو ما يعادل كثرة دموع الشاعر، ويؤكد هذه الدلالة بكلمتين هما "الهوامي السواجم"، ليصف بهما غزارة دموعه وكثرتها.

وبعد أن صور الشاعر حالته قام بمناداة صاحبه بأداة النداء (الهمزة) ثم يبرر لصاحبه الذي يقوم بلومه بأنه لو شعر ببعض ما يشعر به الشاعر لانثنى عن لومه ولام من يلومه. ثم يدعو الشاعر صاحبه بأن يكف عنه ويدعه يكابد الكآبة والأسى ويتلذذ بحرقة العشق، ثم يقول: "فما حازمٌ عند الغرام بحازم" وهو شطر يحمل شيئا من الحكمة، فالغرام يهذب الروح ويزيل الشدة والحزم من قلب العاشق.

ثم يختم صورة البكاء على الأطلال بذكر سبب بكائه، وهو رؤية الشاعر لمنزل محبوبته (راية) وقد أقفر من أهله، ويحدد هذا المنزل بأنه يقع في مكان بين الدوى والصرائم بالقرب من مدينة أبو ظبي، وذلك في قوله:

وقفتُ بـه أبكي أسىً وصبابةً ... وقوف كئيب شاعف القلب هائم
فعنفني إذ ذاك خِلي وصاحبي ... على هرق دمعي بين تلك المعالم
وقال اتق الرحمن واستشعر التقى ... وصبرًا فإن الصبر أسنى المقاسم
أتبكي على عهدٍ تقادمَ عهده ... وأنت ربيط الجأش ماضي العزائم
فقلت ونار الشوق تأتج في الحشا ... وعيناي كالسحب الهوامي السواجم
ألائمُ لو كابدت بعض صبابتي ... إذًا عُجتَ عن لومي ولمت لوائمي
أعاذِلُ دعني والكآبةَ والأسى ... فما حازمٌ عند الغرام بحازم
أعاذلُ أبكاني لراية منزلٌ ... تأبد عصرًا باللوى فالصرائم[24]

يبدأ النهاني المشهد الباكي بسؤال من مجهول مع ملاحظة عدم استعمال أداة استفهام. والتقدير (هل) أثار حزنك ربعٌ بالصحيفة . وهو منتزه للشاعر شرقي مدينة بُهلى . قد زال ودرست معالمه. وهذا الربع قد لزمه البلى زمنًا طويلًا حتى أن الرياح تتحرك فيه وتُصدر أصواتًا، والشاعر يستعمل أسلوب التشخيص في رسم الصورة الصوتية للرياح، فهي نوائح، فالرياح تصيح كالنساء على فقد شخص عزيز، فهذه الرياح تشارك الشاعر الحزن، أو أن هذا الحزن مبعثه صوت الطائر

الذي يقف على غصن مياس، فصوت الطائر أشعل حزن الشاعر فقام بمشاركة الطائر نوحه دون شعور.

ثم توقف الشاعر عن مشاركة الطائر نوحه ولكن الحزن الذي يريد أن يخفيه الشاعر واضح. وهذا التناغم بين الطير والشاعر كان في أول المساء، ويذكر الشاعر أن هذا الصوت أسهم بشكل قوي ومؤثر في تحريك شغاف قلبه. ثم يذكر في بداية هذا المقطع (نعم) التي تؤكد موافقة الشاعر لما ذكره أصحابه عن سبب حزنه، فالحمائم التي تنوح على الغصون بسبب فراق وليفها، وكذلك مشهد غزلان رامة والمها بقفار توضح، ومشهد حركة الغصون، وكذلك السحاب المبتعدة، وهذا النغم أو الإنشاد الذي يحمل معاني الفراق، كلها تُشعر النهاني بالاكتئاب الشديد، وذلك في قوله:

أشـــجاك ربـــعٌ بالصـــفيحة مـــا ئـــحُ ... عـــافٍ فـــدمعُك فـــوق خـــدك ســـافحُ
ربـــعٌ أرب بـــــه البلـــى وتناوحـــت ... فـــي ملعبيـــه مـــن الريـــاح نـــوائحُ
أم صـــوتُ صـــادحةٍ علـــى مياســـةٍ ... صـــدحتْ فنازعهـــا النياحـــةَ صـــادحُ
ناحـــت فنحـــتَ ومـــا أخالـــك ممعنًـــا ... ثـــم انثنيـــتَ وسِـــرّ وجـــدك بـــائحُ
هـــدءًا ســـجعن فهجـــن شـــوقًا كامنًـــا ... بتـــرنحٍ لشـــغافِ قلبـــي قـــادحُ
نعـــم اصـــطباني بالغصـــون حمـــائمٌ ... ناحـــت مـــن البـــين المشـــت نـــوائحُ
وتشـــوقني آرامُ رامـــة والمهـــا ... بقفـــارِ توضـــح والغـــرامُ الفاضـــحُ
ويروقنـي مـيسُ الغصـون علـى النقـا ... ويهـيجُ أشـواقي السـحابُ الـرائحُ
وإذا تـــنغم أو تـــرنم مُنشـــدٌ ... بـــالبين ســـاورني اكتئـــابٌ فـــادحُ[25]

يستعمل النهاني أسلوبا جميلا وهو التجريد، حيث جرد من نفسه شخصًا يسأله ويلح عليه بالسؤال - بأداة الاستفهام (ما) - عن الدموع الكثيرة التي يشبهها في غزارتها وجريانها المستمر على خده بالأنهار، والجمع هنا في لفظ (أنهار) يحمل دلالة الغزارة والكثرة؛ وهو تشبيه مفرط في المبالغة. أو أن هذه الدموع، مثل: (ماء حنانة) أي السحابة ذات الرعد.

ثم يكرر السؤال بأسلوب مختلف بأداة الاستفهام الهمزة (أمن تذكر أحبابٍ) متبوعة جملة الاستفهام بتكرار (أم المعادلة) التي تفيد الاستفهام (أم نوح فاتخةٍ تبكي أليفتها) أي: أم تبكي لبكاء

الحمامة على أليفتها (أم هاج شوقك من مكتومةٍ طللٌ) أي: أم أن سر دموعك هو رؤيتك لأطلال دار محبوبتك (مكتومة). وبعد هذه الجملة من الاستفهامات يأتي رد الشاعر بلفظ (نعم) ويسترسل في الجواب بعدها مؤكدًا أن سبب دموعه هو ما صارت إليه منازل الحبيبة، وهو أيضًا ما أسهم في حيرة الشاعر جراء تبدل أحوال هذا المكان، وسبب هذه الحيرة هو تذكر الشاعر لحال هذه الديار قبل رحيل محبوبته (مكتومة) عنها وبعد رحيلها وما طرأ على هذا الطلل من خراب وزوال معالمها إلا من (النؤي)، وهي حفرة تكون حول الخيمة تمنع وصول الماء إلى داخل الخيمة. بالإضافة إلى مكان الحطب وبعض الأحجار. وذلك في قوله:

ما بالُ عينك منها الدمع مدرارُ ... كأنما فيضها في الخد أنهارُ
أو ماءُ حنانةٍ وطفاءَ حل بها ... رعدٌ من الجانب الغربي مهدارُ
أمِن تذكر أحبابٍ بهم شحطت ... عنكَ العشية طِياتٌ وأسفار
أم نوح فاختةٍ تبكي أليفتها ... لها من النوح ترجيعٌ وتكرارُ
أم هاج شوقك من مكتومةٍ طللٌ ... تكشفتْ منه آياتٌ وآثارُ
نعم هو الربعُ أبكاني وحيرني ... وفي المعاهد للمشتاق تذكارُ
معالم الحي أبلى ثوبَ جدتها ... بعد الأحبة أرواحٌ وأمطارُ
يبدو لعينك منها بعد ما مصحت ... نؤيٌ ومحتطبٌ بالٍ وأحجارُ[26]

ويلاحظ أن سليمان بن سليمان النهاني قد اعتمد في صورته البكائية على أسلوب التجريد، فهو يجرد من نفسه شخصا أو أشخاصا يحاورهم ويسألهم ويسألونه. كما يلاحظ اعتماد الشاعر على عنصر الطبيعة (الماء) لتشبيه غزارة الدموع سواء كان هذا الماء ناتجًا عن المطر أو السحاب وهو الأكثر في تصويره غزارة الدموع، أم عن الأنهار والآبار وعيون الماء وهي قليلة في شعره.

المبحث الثاني: دموع الفراق:

إن أكثر العشاق حرقة ولوعة هم الشعراء الذين يذرفون الدموع عند فراق من يحبون[27]. ومنهم النهاني فهو يستهل صورة الفراق بخبر عودة النياق إلى مراحها، وأن هذا الفعل هو إيذان بقرب رحيل المحبوبة (موذية) وأهلها، ويستعمل النهاني اللفظ "أُهيل" وهو تصغير أهل وفي ذلك دلالة على قلة أهلها أو هو تصغير تمليح وتحبب.

وهذا المشهد أثار هموم الشاعر وجعله يسامر "النسرين" وهما نجمان يُقال لأحدهما الطائر والآخر الواقع. وفي هذه المسامرة يسكب الشاعر دموعه، وبينما الشاعر على هذه الحال كان أهل موذية يضعون الرحال على ظهور النياق المحبسات، ثم يذكر الشاعر مجموعة من أوصاف هذه النياق مثل: ذعاليب، ومواجيف، ودفاق[28]. وجميعها تحمل شيئًا من طرائق السير السريع، وذلك في قوله:

أراحَ أهيـــل موذيـــة النياقـــا كـــأن فـــريقهم عزمـــوا الفراقـــا
فبـــتُ أســـامر النســـرين همًـــا ودمـــعُ العـــين ينـــدفقُ انـــدفاقا
وبـــاتوا يحـــدجون محبســـاتٍ ذعاليبًـــا مواجيفًـــا دفاقـــا[29]

ويسكب النبهاني الدموع وذلك عند مشاهدته لاستعداد القافلة التي تحمل حبيبته للرحيل، فمشهد شد الرحال وصورة الإبل القوية والسريعة التي تُطِير بأخفافها حجر المرو في الطرقات، وهي كناية عن قوة وسرعة هذه الإبل تثير مشاعر الشاعر وتجعله يسكب الدمع. ويشبه دموعه المنسكبة على فراق محبوبته بدموع الخنساء عند وفاة أخيها صخر في المعركة. وهو عندما جعل من الخنساء مثالًا في سكب الدموع جعل من محبوبته في فراقها معادلًا لفراق الخنساء، وذلك في قوله:

وليلـــةَ زمـــوا للفـــراق أيانقًـــا يُطيـــرن بالأخفـــاف مـــرو المخـــارم
بكيـــت بكـــا الخنســـاء جُـــدل صـــخرها بمخلوجـــةٍ فـــي المـــأقط المـــتلاحم[30]

ويتشاءم النبهاني من منظر الغراب ويخاطب هذا الغراب بأسلوب السؤال: أتعلم يا غراب بأنك نذير شؤم؟ فأنت تنذر بمصيبة، ثم يدعُو على الغراب بأسلوب التمني بألّا يحمل جناحًا. ثم يصور الشاعر حالته بعد الفراق فيصور حسرته على الأحبة، فيقول: "تركت بخدي وابلًا مسحاحا" وهي كناية عن كثرة الدموع، وذلك في قوله:

أتـــرى علمـــتَ بـــأي خطـــبٍ فـــادحٍ نبـــأت ليتـــك مـــا حملـــتَ جناحـــا
كلِـــفَ الفِـــراقُ بنـــا فيـــا لـــكِ حســـرةً تركـــتْ بخـــدي وابـــلًا مســـحاحا[31]

ابتعدت الناقة بمحبوبة الشاعر (موذية) فتاهَ عقلُه وهو ينظر لهذا المشهد فصور حالته في لحظات الفراق فهو يودع القافلة وقلبه ونحره يفيضان من كثرة الدموع، وذلك في قوله:

نـــأت بموذيـــة القـــود المراســـيلُ عنـــي فقلبـــي فـــي الأظعـــان متبـــولُ
ودعـــتهم وفـــؤادي يـــوم بيـــنهم والنحـــر منـي بفـيض الـــدمع مبلـــول[32]

ويلاحظ أن النهاني قد لجأ لاستحضار صورة الخنساء بفقد أخيها صخر فاستلهم حزنها وحاول أن يوظفه، فمثل هذا الاستدعاء وتوظيف رثاء الخنساء لأخيها صخر جعل النهاني يعكف عليه ليشير لعظم المصيبة. وهي محاولة منه لأن يُشارك المتلقي بصور أكثر حسية، فكأن حاله في فقد محبوبته يوازي حال الخنساء في فقد أخيها.

ومثل هذه الموازنة تستدعي من المتلقي أن يبحر في عمق الدلالة والإحساس والشعور، لأن حزن الخنساء على أخيها كان الأعظم والأكثر أثرًا في النفس ولعل الشاعر يلفت النظر إلى أن فقده وحزنه يوازي حزن الخنساء أو يفوقه. كما نرى الشاعر متشائمًا سواء بعودة الإبل استعدادًا لسفر محبوبته أم بوجود الغراب.

المبحث الثالث: دموع الشوق:

وللشوق في ميدان الشعر العماني دور كبير، فهو الباعث لكثيرٍ من مغامرات الحب، والنهاني في هذا الجانب يصور مشهدًا من مغامراته الغرامية، فهو يزور حبيبته البيضاء "والليل خضر كلاكله" كناية عن أول الليل، فحيته محبوبته بعبارة "أبيت اللعن"، وهي عبارة تحث فيها المخاطب (الشاعر) على تجنب ما يستحق اللعن عليه، وهي عبارة تقولها العرب لملوكهم عند التحية.

ثم تؤكد على أن زيارته لها في هذا الوقت بمثابة الفضيحة. فكان رد الشاعر على كلامها بفعل وليس بكلام فالتقبيل وجذب المحبوبة تجاهه هو ما يعكس شوق الشاعر لمحبوبته، فما كان من المحبوبة إلا أن ذرفت الدمع الغزير؛ وهذا الدمع هو مزيج من الخوف من أن يفتضح أمرهما وإشفاقًا على هذا العاشق. وتُعاتبه بأن غيابه عنها لخمسة أيام جعلها تعلل ذلك بأنه لم يعد يحبها، وذلك في قوله:

وبيضـــاء كالبيضـــاء بكـــرًا طرقتهـــا وأترابهـــا والليـــل خضـــر كلاكلـــه
فقالـــتْ أبيـــت اللعـــن إنـــك فاضـــحي بـــزورك لـــي والحـــي لـــم يغـــف غافلـــه
فقبلـــتُ فاهـــا هاصـــرًا بقرونهـــا ومـــدمعها يســـقي المـــورد هاطلـــه
حـــذارًا وإشـــفاقًا وقالـــتْ بِزفـــرةٍ علـــى وجـــلٍ والـــدمعُ يســـتن هاملـــه

تجنبتنـــا خمسًـــا فقلنـــا لعلـــه صـــحا قلبـــه عنـــا وأقصـــر باطلـــه
فقلـــتُ معـــاذ الله أنســـاكِ والهـــوى يقـــود الفتـى طوعًـــا إليـــكِ سلاســـله[33]

ويعاتب النهاني حبيبته لأنها أطاعت من يلومونها في حبها له، وهو يعد ذلك خيانة لعهود الحب التي بينهما، فهو لم يستجب لمن يلومه في حبها. ومن الملاحظ أن الشاعر جعل أبياته في عدد من اللوحات، فالبيت الأول يمثل لوحة العتاب، فهو يعاتب المحبوبة التي استجابت لمن يلومها في حب الشاعر. واللوحة الثانية لوحة البكاء، فالشاعر يبكي من الحب ويصرح بأن اللائمين يدفعونه بلومهم إلى الجهالة، ويذكر أن الجهالة قد تصدر من الرجل الحليم في وقتٍ ما.

واللوحة الثالثة لوحة الحنين، فالشاعر يصور حنينه وشوقه لمحبوبته بالاعتماد على أسلوب التجسيد، وذلك عندما شبه حنينه وولهه وشوقه لمحبوبته بشوق الطفل المفطوم حديثًا لثدي مرضعته. واللوحة الرابعة لوحة الثنائيات (ثنائية الوصل والصد) فالوصل بينه وبين حبيبته يقارب طيب الفردوس ونعيمه، بينما صدها يقارب في أقل درجاته الجحيم عند الشاعر. ونجد الشاعر هنا يستعمل مصطلحات إسلامية (الفردوس، الجحيم) وهو ما يمنح هذه اللوحة شيئًا من القداسة.

وفي اللوحة الخامسة يستعمل النهاني أسلوب الاستفهام الإنكاري، فهو ينكر قدرته على نسيانها، فهو كلما تذكر وصلها في الزمن الماضي زاد إخلاصًا لها. ويستعمل الشاعر كلمة (يهيم) بمعنيين الأول: بمعنى الهيام فيكون معنى البيت أنه لا يستطيع نسيانها فكلما تذكر وصلها في الزمن الماضي هام بها وشغف بها حبًا. والثاني: بمعنى الخروج على وجهه وهو لا يدري أين يتجه. وإذا حملناها على المعنى الأخير فإن ارتباط هذا البيت بالبيت الذي يليه يكون أكثر قوة. فالعاشق الهائم على وجهه "يطربه التغزل بالبوادي، وتشجيه المعالم والرسوم". في لوحة العتاب الأخيرة:

أطعـــتِ اللائميـــكِ فخنـــتِ عهـــدي ولمـــا أصـــغِ فيـــكِ لمـــن يلـــومُ
بكيـــتُ صـــبابةً فاســـتجهلوني وقـــد يُســـتجهلُ الرجـــل الحلـــيمُ
أحـــن إليـــكِ مـــن ولـــهٍ وشـــوقٍ كمـــا قـــد حـــن للثـــدي الفطـــيمُ
فوصـــلكِ دونـــه الفـــردوسُ طيبًـــا وصـــدكِ دون أبـــرده الجحـــيمُ
وهـــل ينســـاكِ مهيـــومٌ إذا مـــا تـــذكر وصـــلكِ الماضـــي يهـــيمُ
ويطربـــهُ التغـــزل بـــالبوادي وتشـــجيهِ المعـــالمُ والرســـومُ

إذا أنـــا لـــم ألمـــكِ وأنـــتِ حبـــي علـى هـــذا الصـــدود فمـــن ألـــومُ[34]

ويصور النهاني حالة الحزن التي يعيشها جراء شوقه لمحبوبته فهو مصاب بالأرق من كثرة البكاء ومن سجع الحمام الذي يثير مشاعر الشوق عنده ويحرمه لذة النوم. ويصور لنا دمع شوقه بأن عينه ذات دمع يسيل على الخد هامل كالمطر المستمر.

ثم ينتقل إلى أسلوب الحوار بينه وبين عاذله الذي وجه له سؤالين: "ماذا البكا؟ كيف ياذا الغلام؟" ليأتي جواب الشاعر مبررًا هذه الدموع بأنه مريض ويحمل الهم في قلبه، وفي قلبه نار تشتعل نتيجة شوقه لمحبوبته. ثم يطرح الشاعر العاشق سؤالا إنكاريا فكيف يمكنه النوم وفي القلب هم وكرب دفعا بالشاعر إلى أن يجاري الحمام في البكاء.

ثم يذكر الشاعر العاشق سبب هذه الدموع وهي فتاة لها رموش "كأطراف سمر القنا والسهام". وقد استعمل الشاعر الكل (ألحاظ) وأراد الجزء (الرموش) ثم يسترسل الشاعر بوصف محبوبته فيذكر أن محبوبته ذات شعر كثيف وطويل يمتاز بشدة السواد وهي كناية عن الشباب والحيوية، وذلك في قوله:

أرقـــتُ لســـجع البكـــا والحمـــام وحرمـــت طيـــب الكـــرى فـــي المنـــام
ولـــي مقلـــة دمعهـــا هامـــل علـــى الخـــد منســـجم كالرهـــام
فجـــاوبني عـــاذلي ثـــم قـــال: مـــاذا البُكـــا؟ كيـــف يـــا ذا الغـــلام؟
قلـــتُ ســـقيم وفـــي فـــؤادي غيـــر مـــوزون هـــمٌ وفـــي القلـــب نـــار الضـــرام
فكيـــف أبيـــت وفـــي القلـــب هـــمٌ وكـــرب تركنـــي أبـــاكي الحمـــام
رمتنـــي فتـــاةٌ بألحاظهـــا كـــأطراف ســـمر القنـــا والســـهام
بفـــرعٍ لهـــا عـــامرٍ راجـــحٍ طويـــل صـــقيل كجـــنح الظـــلام[35]

ويلاحظ أن النهاني استعمل ثنائية الوصل والصد للدلالة على حالته النفسية المضطربة، كما استعمل مصطلحات إسلامية، مثل: الفردوس والجحيم.

المبحث الرابع: دموع الندم:

والندم من الموضوعات البارزة في الشعر العماني، وهو موضوع يكشف من خلاله الشاعر عن شدة لوعته، وها هو النهاني يزور محبوبته وهو متنكر فلم تعرفه فيدور حوار بينها وبين صاحباتها،

فسألت: مَن أنت؟ فكان جوابه تعريفًا له باسمه وصفاته، فما كان منها إلا أن انثنت وهي كناية عن الخضوع، وهي تتنهد من الحزن والندم لأنها لم تعرفه من أول وهلة، ثم قامت ودقت صدرها بيمينها، وهو تَصَرُّف تُعَبِّرُ من خلاله عن الندم والحسرة، وبالإضافة إلى هذا الفعل فقد سكبت الكثير من الدموع التي بللت النحر والصدر ثم أبدت حسرتها واعتذارها للشاعر، وذلك في قوله:

فجاءت وقالت ما اسمه قلن ذو الوفا ... سليمانُ يعني البدر والبحر والدهرا
سليلُ سليمان بن نبهان فانثنت ... تنهدُ من حُزنٍ وتستعظمُ الأمرا
وقامت ودقت صدرها بيمينها ... وأذرت دموعًا بلت النحر والصدرا
وقالت ألا واحسرتا وافضيحتا ... لقد جئتُ شيئًا في مليكِ الورى إمرا[36]

وتسكب الفتاة الجميلة ذات الجفن الفاتر الدموع على خدها الشديد الاحمرار، وهي دموع الندم، ثم بدأت بالندم بالقول ثم بررت جهلها بأنه قدم إليها بهيئة متنكرة ثم تؤكد بأن خطأها عظيم لأنها لم تعرفه وهو سيد مُنعِم، وذلك في قوله:

وأذرت من الأجفُن الفاتراتِ ... دموعًا على وجنةٍ كالدمِ
وقالتْ جُعلتُ فداءَ الهُمامِ ... سُليمانَ من سيدٍ مُنعِمِ
لقد جئتَ في جيةٍ منكرًا ... وذنبي العظيمِ فلم أحلمِ[37]

ويلاحظ أن دموع الندم في شعر النهاني هي دموع الآخر . المحبوبة . وكأني بالشاعر قد قابلهن بعد أن تبدل الحال، وفقد سلطانه.

المبحث الخامس: دموع الرثاء:

من المعلوم أن حياة النهاني في الحكم كانت عبارة عن سلسلة من الحروب بينه وبين أخيه (حسام) تارة، وبينه وبين خصومه من الأئمة تارة أخرى[38]. ومن المواقف التي تسكب فيها أصدق الدمعات، هي مواقف العزاء والرثاء، فسليمان النهاني يسكب الكثير من دموع الحزن، على فراق أخيه (حسام)، و"المواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم، وتذوب قوة كل ذي بصيرة، وتسكب عين كل جمود"[39]. هي مواقف الحزن والرثاء، فالشاعر يستهل مرثيته بالدعاء على ذلك اليوم المشؤوم (يوم قُتِلَ أخوه حسام على يده) في قوله: "سحقًا ليومكَ" ثم يستعمل (كم) الخبرية التي تفيد الكثرة، فالشاعر يرغب في إخبارنا عن كثرة الدماء التي أريقت في ذلك اليوم.

ثم يذكر أن هذا الأثر لم يقتصر على الأيام فقط بل تجاوز ذلك إلى قلب الشاعر الذي خالف طبيعته، فقلب الشاعر لم يجزع إلا في ذلك اليوم. ثم يستعمل الشاعر (ما) النافية التي تشي بالاضطراب النفسي لدى الشاعر وعدم تصديقه لما وقع، ثم إنه يُشبه أخاه (حسامًا) بالطود.

ثم يستمر الشاعر في عدم التصديق بمقتل (حسام) باستعمال (لا) النافية في قوله: "لا كان يومك يا ابن أم"، ثم يؤكد باستعمال أداة التوكيد (إن)، ثم يرسم صورة ليوم مقتل (حسام) بالاعتماد على حاسة التذوق عندما استعمل كلمة (أمر) فهذا اليوم لدى الشاعر أشد قسوة من "قضاء الموت وقدره"[40]. وكان علي جواد طاهر يشير بقوة إلى مقدرة النهاني على مجاراة أمهات القصائد الرثائية في التراث العربي، وكأنه يلمح صدق العاطفة وقوة العبارة وجمال اللفظ والأسلوب وقوة التعبير[41].

ويقول النهاني في رثاء أخيه حسام:

سحقًا ليومكَ كم أراقَ وكم شَجا ... دمعًا وقلبًا قبله لا يجزعُ

ما خلتُ أن الطودَ يُحمل قبل ذا ... حتى يمر عليَّ نعشكَ يُرفعُ

لا كان يومكَ يا ابن أُمّ فإنه ... يوم أمرُّ من الحِمام وأفجعُ[42]

يتوعد النهاني خصومه (آل صعب) بالقتل وجعل نسائهم يندبنهم، ويصور حالة النساء اللاتي يسكبن دموع الرثاء على فقيدهن (صعب) فلهن من الحزن عويل، وذلك في قوله:

سأتركُ إن عُمرتُ نساءَ صعبٍ ... لهن عليه من حزنٍ عويلُ[43]

ويرسم النهاني صورًا متعددة لبكائه محبوبته (موذية) يبدأها بعتاب صاحبات حبيبته، ويؤكد بأنهن لا يعينَ الخطاب، فالشاعر هو الأحق بالرثاء؛ لأنه هو الميت بموت محبوبته. فلو وعين الخطاب لنحن كما ينوح هو بحرقة، ثم يبين أنه لم يكتف بصب الدمع صبًا رفيقًا، وهو يؤكد بأن سبب غضبه وشوقه وحنينه هو محبوبته (موذية).

ثم يذكر في اللوحة الثانية: الدموع، فهو يؤكد أنه أراق على الخدود تلك الدموع المترقرقة في عينيه، مع ملاحظة أن الشاعر استعمل لفظة (الخدود) أي خدود صاحبات (موذية) فكلامه لهن دفعهن لسكب الدموع المترقرقة في أعينهن على خدودهن، ثم يؤكد أن كل تلك الدموع لم تقنعه فهو ما يزال يرغب في سكب المزيد من الدموع.

وفي اللوحة الثالثة: يؤكد أنها . أي: موذية . هي المحرك الوحيد لمشاعره فهي مَن تدخل السرور والفرح إلى قلبه، وهي أيضًا مَن تدفعه للحزن ولا غرابة إذًا فهي تارة في صورة الحمائم المغردة، وهي لوحة مرتبطة بالطبيعة في مشهدين الأول: مشهد الفرح فالشاعر يتجاوب مع شدو الحمائم فوق الغصون فهذه الأصوات مبعث فرح للشاعر تدفعه لرفع الصوت بالغناء. أما المشهد الثاني فهو مشهد الحزن المرتبط بالغمام أو السحاب الأسود، وهذا السحاب ذو اللون الأسود يحمل دلالة الحزن المنبعثة من اللون، ويحمل دلالة الكثرة، لأن السحاب الأسود كثير المطر. وهذا المطر أو كما أسماه الشاعر (بكاءً) يثير لديه مشاعر حزينة تدفعه للتفاعل معه والبكاء، وذلك في قوله:

لـــو كـــنّ يفقهـــن الخطـــا ... ب رثـــينَ لـــي ممـــا رثيـــتُ
ولـــنُحنَ ثـــم كمـــا أنـــو ... حُ ولا شـــتفين كمـــا اشـــتفيتُ
دمـــعٌ يرقـــرقُ فـــي الخـــدو ... دِ أرقـــتُ ثمـــت مـــا اكتفيـــتُ
لـــولاكِ مؤذيـــةَ النفـــو ... سِ لمـــا غضـــبتُ ولا صـــبوتُ
فـــإذا شـــدت فـــوق الغصـــو ... ن حمـــائمٌ غـــردٌ شـــدوتُ
وإذا بكـــا جـــونُ الغمـــا ... مِ بمعهـــدٍ بـــالٍ بكيـــتُ[44]

ويستعمل النبهاني (رُبّ) التي تحمل دلالة التكثير، فشاعرنا الفارس قد اصطدم بكثير من الجيوش العظيمة التي تلتهم كل شيء، وقد واجهها بعزمٍ قوي كان نتيجته أن قتل هذه الجيوش العظيمة فقامت الثواكل يبكينَ قتلاهن.

ومن الملاحظ أن الشاعر استعمل حرف العطف (الفاء) للدلالة على الترتيب والتعقيب فعقب أن صدم النبهاني الجيش العظيم قامت الثواكل يبكين قتلاهن دون وجود فاصل زمني بين بداية المعركة وبكاء النساء، وذلك في قوله:

تجنبتنـــا خمسًـــا فقلنـــا لعلـــهُ ... صـــحا قَلبُـــه عنـــا واقصـــر باطلـــه
فقلـــتَ معـــاذ الله أنســـاك والهـــوى ... يقـــود الفتـــى طوعًـــا إليـــك سلاســـله
فلمـــا انثنـــى الـــديجور أعقبـــتُ راجعًـــا ... أرايـــتُ ســـعيي تـــارة وأعاجلـــه
فيـــا رُب جـــيشٍ كاللهـــام صـــدمته ... بعزمـــي فقامـــت بالبكـــاء ثواكلـــه[45]

ويُلاحظ أن دموع الرثاء في شعر النهاني هي دموع حقيقية تصدر عن مشاعر صادقة سواء دموع الشاعر على فقد أخيه (حسام) أم فقد حبيبته (موذية). أم دموع الآخر الثواكل من نساء (آل صعب) أو من غيرهن.

النتائج:

من خلال تقصي ظاهرة البكاء والدموع في ديوان النهاني لاحظت كثرة توظيف الدموع والبكاء في هذا الديوان، وهذا التوظيف عائد لعدة عوامل سيطرت على نفس الشاعر فجاءت هذه العوامل منسجمة مع ذات الشاعر نفسه، كما عبرت عنها أشعاره، فهو ذو نفس بسيطة مشاعرها صادقة ملامسة للطبيعة الإنسانية سريعة التأثر والإحساس حيث يتبادر إلى الذهن سريعًا الحالة النفسية التي لازمت الشاعر وسيطرت عليه.

ولما كانت الحالة النفسية للشاعر مرآة صادقة لأشعاره ومعانيه وجدنا النهاني يعبر بصياغة مباشرة عن إحساسه، يلفت الانتباه فيها كمية المشاعر الصادقة الحزينة التي لازمته وحاول أن يبثها للمتلقي فجاءت موضوعات العناوين وتقسيماتها منسجمة مع تركيز الشاعر وحالته النفسية.

فهو في مبحث دموع البكاء على الأطلال اتكأ على الموروث الشعري القديم الذي اتخذه أسلوبًا ونهجًا. أما في مبحثي دموع الفراق ودموع الشوق فيظهر من خلالهما النهاني عاشقًا ظهرت ملامح صدقه العاطفي في ألفاظه ومعانيه. أما مبحث دموع الندم فلا يخفى على متتبع أشعار النهاني حالة الندم التي يصورها في شعره من خلال دموع الآخر . وأما مبحث دموع الرثاء فقد أظهر جليًا الحالة النفسية التي اتسمت بها أشعاره وبخاصة في رثائه لأخيه (حسام) ومحبوبته (موذية) ليعبر عن حالة الحزن العميق التي لازمت نفسه.

وكل هذا يوضح بعمق الأثر الذي جعل البكاء والدموع تظهر بصورة واضحة وجلية في ديوان النهاني، لأن معاني الديوان وألفاظه كانت صدى لنفس الشاعر، فجاءت زفرات الحزن تنطق ويعبر عنها بألفاظ الشاعر وأسلوبه.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: السيابي، الوسيط في التاريخ العماني: 106.

(2) النهاني، ديوانه: 10.

(3) ينظر: الطاهر، سليمان بن سليمان النهاني: 43.

(4) نفسه: 11. وينظر: النهاني، ديوانه: 10.

(5) ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات: 140.

(6) السيابي، الوسيط في التاريخ العماني: 121.

(7) درويش، تطور الأدب في عمان: 15.

(8) نفسه: 41، 42.

(9) درويش، مدخل إلى دراسة الأدب في عمان: 39.

(10) النهاني، ديوان النهاني: 10.

(11) نفسه: 15.

(12) النهاني، ديوان النهاني: 15.

(13) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان: 326.

(14) نفسه: 10.

(15) مقدادي، البكاء والدموع في شعر المتنبي: 305.

(16) ينظر: القرني، إمبراطور الشعراء: 102.

(17) ينظر: مبارك، مدامع العشاق: 23.

(18) النهاني، ديوانه: 164.

(19) لوى الأرائك: وهو موضع بوادي قريات، والنهاني هنا يحدد المكان بدقة عندما حدد موضع هذا الوادي الذي يقع في منطقة (سحام) وهي منطقة بين (أمطي) و(الوادي الغربي) من عُمان.

(20) النهاني، ديوانه: 222. هيوم: متحير. والمستهام: الهائم.

(21) نفسه: 60

(22) نفسه: 152

(23) نفسه: 160.

(24) نفسه: 235.

(25) نفسه: 66.

(26) نفسه: 104.

(27) ينظر: مبارك، مدامع العشاق: 21.

(28) ينظر: المحائلي، الحيوان في شعر سليمان النهاني: 350.

(29) النهاني، ديوانه: 151.

(30) نفسه: 236.

(31) نفسه: 72.

(32) نفسه: 196.

(33) نفسه: 168.

(34) نفسه: 242. الصباية: رقة قلب الصب. فاستجهلوني: فعدوني جاهلاً. المهيوم: مستهام حائر.

(35) النهاني، ديوانه: 271 (هذا البيت غير موزون، وهكذا كتب في الديوان).

(36)النهاني، ديوان: 115. وا حسرتا: تندب نفسها لحسرتها وفضيحتها، ويقال: شيء إمر بكسر الهمزة أي عجيب منك، وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على أن راية كانت خليلته ال حليلته.

(37) النهاني، ديوانه: 244.

(38) ينظر: ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات: 140.

(39) ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف: 87.

(40) المعجم الوسيط، مادة (ح م م).

(41)الطاهر، سليمان بن سليمان النهاني: 48.

(42) النهاني، ديوانه: 139. يجب الرجوع إلى كتاب (سليمان بن سليمان النهاني): 47، 48.

(43) النهاني ديوانه: 171. إن عمرت: إن أبقاني الله فإني سأترك أهل صعب من النساء يندبنه بعويل وحزن طويل.

(44) النهاني، ديوانه: 48. يرقرق: يصب صبًا رفيقًا، و (أرقت) صببت. جون الغمام: أسوده وهو كثير المطر.

(45) النهاني، ديوانه: 168 169. قالت له محبوبته: هجرتنا خمس ليال، فقلنا: لعل قلبه صحا من سكر الهوى وكف عن باطله ولهوه. فقلت لها: معاذ الله أن أنساك والهوى يقودني إليكِ طوعًا بسلاسله. الديجور: الظلام، رجعت بعد زواله أتريث تارة وأعاجل رجوعي تارة أخرى. اللهام الجيش العظيم يلتهم كل شيء، صدمته فقامت الثواكل يندبن قتلاهن.

المراجع:

1) درويش، أحمد، تطور الأدب في عمان، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
2) درويش، أحمد، مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
3) السالمي، عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عُمان، 2000م.
4) السيابي، أحمد بن سعود، الوسيط في التاريخ العماني، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عُمان، 2015م.
5) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية العراق إيران، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

6) الطاهر، علي جواد، سليمان بن سليمان النبهاني: شاعر من عصر النباهنة في عمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1995م.
7) القرني، عائض، إمبراطور الشعراء، مكتبة العبيكان، الرياض، 2007م.
8) مبارك، زكي، مدامع العشاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م
9) المحائلي، مروعي بن إبراهيم، الحيوان في شعر سليمان بن سليمان النبهاني، مجلة جامعة الوصل، الأمارات العربية المتحدة، ع66، 2023م.
10) مقدادي، زياد محمود، البكاء والدموع في شعر المتنبي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الأردن، مج15، ع1، 2018م.
11) النبهاني، سليمان بن سليمان، ديوان النبهاني، تحقيق: عز الدين التنوخي، منشورات وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، 2017م.

Arabic References

1) Darwīsh, Aḥmad, Taṭawwur al-adab fī ʿAmmān, Dār Gharīb lil-Ṭibāʿah & al-Nashr & al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1998, (in Arabic).
2) Darwīsh, Aḥmad, madkhal ilá dirāsah al-adab fī ʿAmmān, Dār al-usrah lil-Ṭibāʿah & al-Nashr & al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1998, (in Arabic).
3) al-Sālimī, ʿAbd Allāh ibn Ḥamīd, Tuḥfat al-aʿyān bi-sīrat ahl ʿAmmān, Maktabat al-Imām Nūr al-Dīn al-Sālimī, Salṭanat ʿumān, 2000, (in Arabic).
4) al-Sayyābī, Aḥmad ibn Saʿūd, al-Wasīṭ fī al-tārīkh al-ʿUmānī, Maktabat al-Ḍāmirī lil-Nashr & al-Tawzīʿ, Salṭanat ʿumān, 2015, (in Arabic).
5) Shawqī Ḍayf, Tārīkh al-adab al-ʿArabī ʿaṣr al-Duwal & al-Imārāt: al-Jazīrah al-ʿArabīyah al-ʿIrāq Īrān, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, N. D, (in Arabic).
6) al-Ṭāhir, ʿAlī Jawād, Sulaymān ibn Sulaymān al-Nabhānī: shāʿir min ʿaṣr al-Nabāhinah fī ʿAmmān, Dār al-Ḥiwār lil-Nashr & al-Tawzīʿ, Sūriyā, 1995, (in Arabic).
7) al-Quranī, ʿĀ'iḍ, imbrāṭwr al-shuʿarā', Maktabat al-ʿUbaykān, al-Riyāḍ, 2007, (in Arabic).
8) Mubārak, Zakī, Madāmiʿ al-ʿushshāq, Mu'assasat Hindāwī lil-taʿlīm & al-Thaqāfah, Miṣr, 2014m

9) al-Mḥā'ly, mrwʿy ibn Ibrāhīm, al-ḥayawān fī shiʿr Sulaymān ibn Sulaymān al-Nabhānī, Majallat Jāmiʿat al-waṣl, al'mārāt al-ʿArabīyah al-Muttaḥidah, ʿ66, 2023, (in Arabic).

10) Miqdādī, Ziyād Maḥmūd, al-bukā' wāldmwʿ fī shiʿr al-Mutanabbī, Majallat Ittiḥād al-jāmiʿāt al-ʿArabīyah lil-Ādāb, al-Urdun, V 15, I 1, 2018, (in Arabic).

11) al-Nabhānī, Sulaymān ibn Sulaymān, Dīwān al-Nabhānī, Ed. ʿIzz al-Dīn al-Tanūkhī, Manshūrāt Wizārat al-Turāth & al-Thaqāfah, Salṭanat ʿumān, 2017, (in Arabic).